Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على ما به من الهم ، ألا ترى الى قوله :

ألا إنَّ عيناً لم تَجُدْ يومواسطٍ عليك بجاري دمعِها لجمـــودُ

فأتى بالجمود تأكيداً لنفي الجود ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء وليس هناك التماس بكاء لان الجود والبخل يقتضيان مطلوباً يبذل أو يمنع ولو كان الجمود يصلح لان يراد به السلامة من البكاء ويصح أن يدل به على أن الحال حال مسرة وحبور لجاز أن يدعى بـــه للرجل فيقال : لا زالت عينـــك جامدة كما يقال : لا أبكي الله عينك ، وذاك مما لا يشك في بطلانه . وعلى ذلك قول أهل اللغة : عين جمود — لا ماء فيها ، وسنة جماد — لا مطر فيها ، وناقة جماد — لا لبن فيها، وكما لا نجعل السنة والناقة جماداً الا على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدَّرِّ كذلك حكم العين لا تجعل جموداً إلاّ وهناك ما يقتضي ارادة البكاء منها وما يجعلها اذا بكت محسنة موصوفة بأن قد جادت وسخت ، واذا لم تَبْكِ مسيئة موصوفة بأن قد ضنت وبخلت فان قيل : إنه اراد أن يقول : إني اليوم أتجرع غصص الفراق واحمل نفسي على مره واحتمل ما يؤديني اليه من حزن يفيض الدموع من عيني ويسكبها لكي أتسبب بذلك الى وصل يدوم ومسرة تتصل حتى لا أعرف بعد ذلك الحزن أصلاً ولا تعرف عيني البكاء وتصير في أن لا ترى باكية أبداً كالجمود التي لا يكون لها دمع فان ذلك لا يستقيم ويستتب لانه يوقعه في التناقض ويجعله كأنه قال : احتمل البكاء لهذا الفراق عاجلاً لأصير في الاجل بـــدوام الوصل واتصال السرور في صورة من يريد من عينه أن تبكي ثم لا تبكي لانها خلقت جامدة لا مـــاء فيها ، وذلك من التهافت والاضطراب بحيث لا تنجع الحيلة فيه . وجملة الامر انا لا نعلم أحداً جعل جمود العين دليل سرور وامارة غبطة وكناية عن أن الحال حال فرح »[1] . وقال معلقاً على بيت بشار :

كأنَّ مثـــارَ النقع فوق رؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

(١) دلائل الاعجاز ص ٢٠٨ وما بعدها .